صيام يوم عاشوراء

أ.د. عفاف بنت حسن محمد مختار الهاشمي

الألوكة
alukah.net

صيام يوم عاشوراء

هناك مقولة منتشرة بين الناس وهي كالآتي: (إن العامة ينقلون رواية مكذوبة أن النبي ﷺ حين وصل المدينة وجد اليهود يصومون العاشر فتساءل لماذا؟ فقيل: إنه اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون، فأمر بصيامه وصيام التاسع أيضاً، فهل النبي الأعظم ﷺ لا يعلم بشريعة موسى ويسأل اليهود ليفهم سبب صيامهم؟ افتراء عجيب!! وما علاقة شريعتنا باليهود، وهل يصح أن نأخذ بقول عامتهم؟ لنفترض أن شهادة نبينا كانت في نفس اليوم فهل سنحتفل في هذا اليوم ونصومه ابتهاجاً لنجاة اليهود أم نحزن بشهادة سيد الخلق ﷺ؟ أيهما أولى بالاتباع وبالمواساة، أليس الإمام الحسين نفس النبي الأكرم ﷺ في قوله: (حسين مني وأنا من حسين) ما بالكم في متابعة اليهود وأخذكم من كعب الأحبار وأطنابه؟ ماذا عسانا أن نقول أكثر؟).

الرد على هذه المقولة: (إن العامة ينقلون رواية مكذوبة أن النبي ﷺ حين وصل المدينة وجد اليهود يصومون العاشر فتساءل لماذا؟ فقيل إنه اليوم الذي نجى الله فيه موسى وقومه من فرعون، فأمر النبي ﷺ بصيامه وصيام التاسع أيضاً فهل النبي ﷺ لا يعلم بشريعة موسى، ويسأل اليهود عن سبب صيامهم افتراء عجيب) الصحيح أن العامة ليسوا هم من نقلوا هذه الرواية عن النبي ﷺ، وإنما نقلها للأمة الإسلامية الصحابة ﷺ، وهم الذين صرح الله ﷻ عنهم بأنهم خير الخلق بعد الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام –، يقول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١] وقول الله ﷻ: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]، وإن كان يدخل معهم غيرهم ممن جاء بعدهم واقتفى أثرهم إلا أنهم بذلك أولى، إذ هم المشافهون والمخاطبون بهذه الآيات، ومن جاء بعدهم إنما ينال من ذلك ويصيب منه بقدر إتباعه لهم واقتدائه بهم، يقول الرسول ﷺ عن قول الله ﷻ: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران:١١٠]: (إنكم سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله عزوجل)[١]، ومما يدل على أن الصحابة ﷺ خير هذه الأمة قوله ﷺ: (خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم)[٢] والمراد بقرن النبي ﷺ في هذا الحديث الصحابة ﷺ، وقد أكد ذلك قوله ﷺ: (بعثت في خير قرون بني آدم)[٣] فالله ﷻ قد فضل هذه الأمة على باقي الأمم وجعل الصحابة ﷺ أفضل هذه الأمة، يقول الرسول ﷺ: (مثل المسلمين واليهود والنصارى كمثل رجل استأجر قوماً يعملون له عملاً يوماً إلى الليل على أجر معلوم، فعملوا له نصف النهار، فقالوا لا حاجة لنا إلى أجرك الذي شرطت لنا وما عملنا باطل، فقال لهم: لا تفعلوا أكملوا بقية عملكم وخذوا أجركم كاملاً فأبوا وتركوا، واستأجر آخرين بعدهم فقال: أكملوا بقية يومكم هذا ولكم

---

(١) أحمد في المسند (٤ / ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨) (٥/٣- ٥)، والترمذي في سننه كتاب التفسير – تفسير سورة آل عمران (٥/٢٢٦) ح (٣٠٠١) وقال: حديث حسن، وابن ماجه في السنن كتاب الزهد – باب صفة أمة محمد ﷺ (٢/١٤٣٣)، والحاكم في المستدرك (٤/٨٤) وصححه ووافقه الذهبي، والدارمي في السنن (٢/٢٢١) ح (٢٧٦٣)، وحسنه الألباني في المشكاة.

(٢) البخاري كتاب الفضائل – باب فضائل أصحاب النبي ﷺ (٧/٣)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب فضائل الصحابة (١٦/٨).

(٣) البخاري كتاب الأنبياء – باب صفة النبي ﷺ (٦/٤١٨).

الذي شرطت لهم في الأجر فعملوا حتى إذا كان حين صلاة العصر قالوا لك ما عملنا باطل ولك الأجر الذي جعلت لنا، فقال: أكملوا بقية عملكم فإن ما بقي من النهار شيء يسير، فأبوا، فاستأجر قوماً أن يعملوا له بقية يومهم، فعملوا فيه يومهم حتى غابت الشمس واستكملوا أجر الفريقين كليهما فذلك مثلهم ومثل ما قبلوا من هذا النور)[1] يقول ابن كثير – يرحمه الله –: (والمراد من هذا التشبيه بالعمال ليس منوطاً بكثرة العمل وقلته، بل بأمور أخر معتبرة عند الله تعالى)[2] ومما أُكرمت به هذه الأمة أنهم مع كونهم آخر الأمم زماناً فهم الأولون يوم القيامة، يقول الرسول ﷺ: (نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب قبلنا)[3] ويقول: (نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق)[4] وبما أن الله ﷻ ورسوله ﷺ قد جعلا الصحابة ﷺ أفضل هذه الأمة، وقد وضح الله ﷻ برضوانه عليهم وإثابته إياهم فقد أخبر الله ﷻ برضاه عمن بايع تحت الشجرة قد أخبر الله ﷻ برضاه عمن بايع الرسول ﷺ تحت الشجرة[5] في غزوة الحديبية[6] فقال الله ﷻ: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحاً قَرِيباً﴾ [الفتح: ١٨] فصرح ﷻ برضاه عنهم في هذه الغزوة، وأخبر الرسول ﷺ بنجاتهم من النار فقال: (لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة)[7] كما أخبر الله ﷻ عن رضاه عن السابقين الأوليين من المهاجرين والأنصار ومن اتبعهم بإحسان وهذا يعم جميع الصحابة ﷺ فقال: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠] فصرح ﷻ برضاه عنهم، ورضاهم عنه، يقول ابن كثير – يرحمه الله –: (فيا ويل من أبغضهم أو سبهم أو أبغض أو سب بعضهم)[8] فيتضح مدى جرم من سبهم أو سب أحداً منهم، أما ثناؤه عليهم ووعده لهم يقول الله ﷻ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلّاً وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [الحديد: ١٠] يقول القرطبي –يرحمه الله–: (أي المتقدمون المتناهون السابقون، والمتأخرون اللاحقون وعدهم الله جميعاً الجنة مع تفاوت الدرجات)[9] ويقول ابن حجر– يرحمه الله –: (الذي ذهب إليه الجمهور أن فضيلة الصحبة لا يعدلها عمل لمشاهدة رسول الله ﷺ، وأما من اتفق له الذب عنه والسبق إليه بالهجرة أو النصرة، وضبط الشرع المتلقى عنه،

---

(١) البخاري كتاب الإجارة – باب الإجارة من العصر إلى الليل (٤/٤٤٧).

(٢) البداية والنهاية لابن كثير (٢/١٤٦)

(٣) البخاري كتاب الجمعة – باب فرض الجمعة (٢/٣٥٤)، ومسلم كتاب الجمعة – باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣/٦).

(٤) مسلم كتاب الجمعة – باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٣/٧).

(٥) البداية والنهاية (٤/١٦٦).

(٦) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة سميت ببئر هناك. انظر معجم البلدان (٢/٢٢٩).

(٧) الترمذي كتاب المناقب – باب فضل من بايع تحت الشجرة (٥/٥٩٥) ح (٣٦٨) وقال: حديث حسن صحيح، وقال الألباني: صحيح. انظر صحيح الترمذي (٣/٣٤٠) ح (٣٣٣)

(٨) تفسير القرآن العظيم (٤/١٤٢)

(٩) الجامع لأحكام القرآن (١٧/١٥٧)

وتبليغه لمن بعده فإنه لا يعدله أحد ممن يأتي بعده، لأنه ما من خصلة من المذكورة إلا وللذي سبق بها مثل أجر ممن عمل بها من بعده، فظهر فضلهم)[1]، وأما ثناؤه عليهم بوصفهم بالشدة على أعداء الله والرحمة للمؤمنين، يقول الله ﷻ: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ [الفتح: ٢٩] هذا هو محمد ﷺ وهؤلاء هم صحابته معه في أروع وصف وأبين مثال، محمد رسول الله ﷺ واتباعه من أصحابه هم معه على دينه أشداء على الكفار غليظة عليهم قلوبهم، قليلة بهم رحمتهم، أما فيما بينهم ودواعي الإيمان يحذوهم فرقيقة قلوب بعضهم لبعض، لينة أنفسهم بهم هينة عليهم فهم كما قال ﷻ: ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤][2] ولم يقتصر ذكر فضائل الصحابة ﷺ وبيان وصفهم في القرآن الكريم بل قد ذُكروا في الكتب السابقة في التوراة والإنجيل، يقول الله ﷻ: ﴿ تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾[3] [الفتح:٢٩] فيخبرنا الله ﷻ عن عبادتهم فإنك لا ترى الواحد منهم إلا راكعاً أو ساجداً يبتغي فضل ربه، ملتمساً رضاه ليدخل الجنة، وعلامة ذلك واضحة بينة في وجوههم: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ فسيماهم التي يُعرفون بها في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته وأثار أداء فرائضه، وفي الآخرة ما يعرفون به من الغرة في الوجه والتحجل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء وبياض الوجوه من أثر السجود، وأما وصفهم في التوراة والإنجيل فمثلهم كمثل زرع أخرج شطاه وهو فراخه فتقوى وأعانه وشده حتى صار ذلك الزرع غليظاً قوياً بعد أن كان دقيقاً حتى استوى على سوقه فاستقام على أعواده وهذا مثل ضربه الله ﷻ لأصحاب النبي ﷺ وأنهم يكونون في الابتداء قليلاً ثم يزدادون ويكثرون ويقوون كالزرع ثم ذكر ﷻ علة تكثيره لأصحاب نبيه ﷺ وتقويته لهم: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ أي كثرهم وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين[4] وقد دلت هذه الآية على عظم قدر أصحاب رسول الله ﷺ وعظم منزلتهم وفضلهم، وأن الكفار هم الذين يغيظهم ذلك، ويُغصَّون به، يقول الإمام مالك – يرحمه الله –: (من أصبح من الناس في قلبه غيظ على أحد من أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية)[5] ولذا حذر الرسول ﷺ من سب الصحابة فقال: (لا تسبوا أصحابي فلوا أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد [6] أحدهم ولا

---

(١) فتح الباري (٦/٧)

(٢) انظر تفسير الطبري (٦٩/٢٦).

(٣) انظر المصدر السابق

(٤) تفسير الطبري (٧٣/٢٦)، تفسير ابن كثير (٢٠٦/٤)، فتح القدير (٥٦/٥).

(٥) أبو نعيم في الحلية (٣٢٧/٦)، البغوي في معالم التنزيل (٢٠٧/٤).

(٦) المدُ (بضم الميم في الأصل) ربع الصاع وإنما قدره به لأنه أقل ما كانوا يتصدقون به في العادة، وهو رطل وثلث بالعراقي عند الشافعي وأهل الحجاز، وهو رطلان عند أبي حنيفة وأهل العراق. انظر النهاية لابن الأثير (٣٠٨/٤).

نصيفه)[1] [2] وتقول عائشة – رضي الله عنها–: (أصحاب رسول الله ﷺ أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم)[3]، وقد أثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار بالإيمان، يقول الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللهِ وَالَّذِينَ آوَواْ وَّنَصَرُواْ أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال: ٧٤] فهؤلاء الصحابة من المهاجرين والأنصار هم المؤمنون حقاً الذين حققوا إيمانهم بالهجرة والنصرة، وحقق الله إيمانهم بالبشارة بالثواب العظيم، وبذلك يتضح كذب القائل: فإن هذه الرواية رواية مكذوبة، ولعل القائل بهذه المقولة هو من فرقة الشيعة الذين يُطلق عليهم اسم الرافضة ولقد سموا بهذا الاسم لرفضهم إمامه أبي بكر وعمر – رضي الله عنهما –، وقيل: لرفضهم مقالة زيد بن علي زين العابدين ﷺ حيث وآلى أبا بكر وعمر، وذلك أن جماعة منهم أتوا إليه فقالوا له: ما تقول في أبي بكر وعمر؟ فأثنى عليهما خيراً، فقالوا: كيف وقد نازعوكم أمركم؟ قال: ما سمعت أحداً من أهل بيتي يذكرهما إلا بخير، فرفضوا مقالته وتفرقوا عنه، فلما أدبروا رفع يده إلى السماء فقال: اللهم اجعل اليوم لعنتي ولعنة أبائي عليهم، فإنهم رفضوني كما رفضت الخوارج علي بن أبي طالب ﷺ[4] فسموا بذلك رافضة، ورجح شيخ الإسلام – يرحمه الله– تسميتهم بالرافضة لرفضهم زيد بن علي بن الحسين بن علي ﷺ[5]، وعند التحقيق فهم لم يرفضوا زيداً إلا لأنه أثني خيرا على الشيخين – رضي الله عنهما–، وقيل إنهم سموا رافضة لتركهم محبة الصحابة ﷺ ولرفضهم دين الإسلام[6]، فالرافضة خالفوا أهل السنة والجماعة في هذا المعتقد، يقول شيخ الإسلام – يرحمه الله – مبيناً السبب في موقفهم المجانب للحق: (فجاءوا ببدعة النص وزعموا أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بن أبي طالب ﷺ، نصاً قاطعاً للعذر وأنه معصوم ومن خالفه كفر، ورتبوا على ذلك تكفير كل الصحابة إلا نفراً قليلاً منهم لزعمهم أنهم كتموا النص وبدلوا الدين وأصبحوا يتقربون إلى الله ﷻ في زعمهم بسب الصحابة – رضوان الله عليهم– ولعنهم ونال أبو بكر وعمر النصيب الأوفر من ظلمهم وبهتانهم)[7] وهذا ما أيده ابن حزم – يرحمه الله– بقوله: (وهم الذين شايعوا علياً ﷺ على الخصوص وقالوا: إن علياً أفضل الناس بعد رسول الله ﷺ، وأحقهم بالإمامة وولده من بعده، وقالوا: بإمامته وخلافته نصاً ووصاية[8] واعتقدوا أن الإمامة لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده، وقالوا: ليست الإمامة قضية مصلحة، تناط باختيار العامة وبتنصيب الإمام بتنصيبهم، بل هي قضية أصولية، وهو

---

(١) النصيف: هو النصف. انظر المصدر السابق (٦٥/٥).

(٢) البخاري كتاب فضائل الصحابة – باب قول النبي ﷺ: (لو كنت متخذاً خليلاً) (٢١/٧)، ومسلم كتاب فضائل الصحابة – باب تحريم سب الصحابة (٩٢/١٦).

(٣) مسلم كتاب التفسير – باب قول الله ﷻ: ﴿ وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِن بَعْلِهَا نُشُوزًا ﴾ (١٨ / ١٨٥).

(٤) مقالات الإسلاميين (٨٩/١– ٩٠)، الملل والنحل (١٥٥/١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٩–٦٠)، البرهان (٣٦)

(٥) منهاج السنة ط مكتبة الرياض (١٣٠/٢)

(٦) مقالات الإسلاميين (٨٩/١–٩٠)، الملل والنحل (١٥٥/١) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين (٥٩– ٦٠)، البرهان (٣٦)

(٧) الفتاوى (٣٥٦/٣)

(٨) إن أول من قال بالوصاية لعلي ﷺ هو عبد الله بن سبأ حيث استدل عليها بقوله: (إنه وجد في التوراة أن لكل نبي وصياً وإن علياً وصي محمد ﷺ وإنه خير الأوصياء، كما أن محمداً ﷺ خير الأنبياء). انظر المقالات (٨٦/١–٩٠)، الفتاوى (١٥٤/٣) (٤٣٥/٤)

ركن الدين لا يجوز للرسول ﷺ إغفاله وإهماله، ولا تفويضه إلى العامة ... ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأئمة وجوباً عن الكبائر والصغائر والقول بالتولي والتبرىء قولاً وفعلاً وعقداً، إلا في حالة التقية ويخالفهم بعض الزيدية)[١] ويقول هشام بن الحكم وهو من شيوخ الإمامية واليه تنسب فرقة الهشامية التي اشتهرت بالتشبيه [٢]: (وإن الأمة بأسرها من الطبقة الأولى بايعوا أبا بكر، فارتدوا وزاغوا عن الدين، وإن القرآن نُسخ وصُعد به إلى السماء، وإن السنة لا تثبت بنقلهم إذ هم كفار) [٣] ويقول الملطي - يرحمه الله- عنه: (كان ملحداً دهرياً ثم انتقل إلى الثنوية المانوية ثم غلب عليه الإسلام فدخل في الإسلام كارهاً)[٤] فالرافضة لم يكتفوا بالطعن في خلافة أبي بكر وعمر وعثمان، بل رواياتهم في ذلك لا تُعد ولا تحصى، فهم يحرفون الأدلة الثابتة حتى تتمشى مع معتقدهم الفاسد فيقولون عن قول الله ﷻ: ﴿ ذُوقُواْ الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٧] بأن المراد بالكفار المسودة وجوههم هم صحابة الرسول ﷺ[٥] ويزعمون أن المراد من قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَالَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٢٧] إن المراد بالظالم أبو بكر يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول علياً ولياً يا ليتني لم اتخذ فلاناً خليلاً يعني الثاني عمر[٦] ومن أغرب الغرائب أنهم مع تكفيرهم للصحابة ﷺ غلوا في الأئمة وجعلوا مرتبتهم فوق الأنبياء والرسل وجميع البشر، بل جعلوهم أرباباً يعلمون أعمار الناس وآجالهم وأرزاقهم ولا يخفى عليهم خافية، ويملكون الدنيا ويغلبون جميع الخلق ويرتعد الكون من هيبتهم وشدة بأسهم، يدين لهم الملائكة كما دان لهم الأنبياء والرسل[٧]، وأما قولهم إن الرسول ﷺ أمر بصيام يوم التاسع فهذا القول غير صحيح، والصحيح الذي قاله الرسول ﷺ: (لئن بقيت إلى قابل لأصومن التاسع والعاشر)، ولم يأمر بصيامهما ولكنه ﷺ أراد أن يخالف اليهود فحبب صيام التاسع والعاشر، وهذا الأمر من باب النوافل المستحبة وليست من الواجبات أو الأوامر.

وأما قولهم: هل النبي ﷺ لا يعلم بشريعة موسى وهل يصح أن نأخذ بقول عامتهم؟ فالرد عليهم: إن الغيب قسمان: غيب نسبي وغيب مطلق، فالغيب النسبي هو الذي أطلعه الله ﷻ على بعض رسله – عليهم الصلاة والسلام –، يقول الله ﷻ: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا * إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن: ٢٦ – ٢٧] أما الغيب المطلق فهو لله ﷻ فقط ومن ادعى علمه فقد ادعى أنه شريك لله ﷻ، يقول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا

---

(١) الفصل في الملل والأهواء والنحل (١١٣/٢) والملل والنحل (٤٦/١)

(٢) انظر الأعلام (١٨٢/١٩)، لسان الميزان (١٩٤/٦) المقالات (١١٧/١)

(٣) الكافي (٣٣٢/٥-٣٣٣)، الفتاوى (١٥٤/٣- ١٨٦) (٤٣٥/٤) - (٣٥/١٣) منهاج السنة ط جامعة الإمام (١٠/١)

(٤) التنبيه (١٨/ ٢٤، ٣٥)

(٥) تفسير القُمي (١٠٩/١)

(٦) تفسير القُمي – مطبعة النجف – العراق ١٣٨٦هـ (١١٣/٢)

(٧)الكافي ط إيران (١٦٩/١، ١٩٧، ٢٥٨)

لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦] ووجه الدلالة: انه أتى بضمير فصل: ﴿إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ وضمير الفصل يدل على الحصر، يعني أنت لا غيرك علام الغيوب، ولذا فإن كل من ادعى علم الغيب فهو كافر، لأن الله ﷻ يقول: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ [النمل: ٦٥]، وهذا نفي، يعني حصراً، لا أحد يعلم الغيب في السماوات والأرض إلا الله ﷻ، ومن يعتقد أن الأنبياء والرسل – عليهم الصلاة والسلام – يعلمون شيئاً من الغيب المطلق بدون وحي فقد كفر، حيث إن الله ﷻ أخبرنا بأنه وحده عالم الغيب المطلق، وهذا متفق عليه بين المسلمين فلو اعتقد أحد أن أحداً من البشر يعلم شيئاً من الغيب فقد جعله رباً وإلهاً وجعله شريكاً لله يعلم الغيب وهذا الكفر صريح.

وبذلك يتضح أن محمداً ﷺ لا يعلم كل الأمور الغيبية، وقد لا يعلم أيضاً تفاصيل شريعة موسى ﷺ، فقد ورد في ذكر سبب نزول الآية في سورة الكهف ﴿فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: ٦٥] (أن موسى سُئل هل في الأرض أحد أعلم منك؟ فقال: لا، فأراد الله ﷻ تعريفه أن من عباده في الأرض من هو أعلم منه في بعض الأمور، وأنه لم يكن له أن يحكم على مالا علم له به، ولكن كان ينبغي له أن يكل ذلك إلى عالمه) فهنا يتضح أن موسى ﷺ كان أعلم أهل الأرض حقاً، ولكن كان ينقصه بعض المعلومات التي علمها الله ﷻ الخضر ولم يعلمها موسى ﷺ.

أما قولهم: إن الرسول ﷺ سأل اليهود، فهذا لا يعني أنه اقتصر في الإجابة عليهم، فقد يكون سأل اليهود وغيرهم من الأنصار فاقتنع بالإجابة لتواترها وليس اعتماداً فقط على اليهود.

أما قولهم: ما علاقة شريعتنا بشريعة اليهود؟ فالصحيح أن هناك علاقة وثيقة بين شريعة اليهود الصحيحة التي جاءت من عند الله ﷻ وشريعة الإسلام، فكلاهما قائمة على التوحيد وإفراد الله بالعبادة، وهناك اختلاف في الفروع، أما الأصول فواحدة يقول الله ﷻ: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اُعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦] أما زعمهم سنحتفل في هذا اليوم ونصومه ابتهاجاً لنجاة اليهود أم نحزن بشهادة سيد الخلق ﷺ في قوله: (حسين مني وأنا من حسين) في متابعة اليهود وأخذكم من كعب الأحبار وأطنابه؟ ماذا عسانا أن نقول أكثر؟ فقولهم: كذب بواح وافتراء عظيم وتحريف واضح، فالمسلمون يصومون هذا اليوم ليس لنجاة اليهود وإنما لنجاة موسى ﷺ وانتصار التوحيد على الكفر، وهذا ما وضحه الرسول ﷺ بقوله: (نحن أحق بصيامه منهم) لأن المؤمنين يؤمنون بشريعة موسى ﷺ ويحبونه، ولا يفرقون بين الرسل، بخلاف اليهود والنصارى الذين حرفوا وبدلوا الديانتين اليهودية والنصرانية، فصوم يوم عاشوراء سنة من سنن الرسول ﷺ فرحاً بنجاة موسى ﷺ من الطاغية والطغاة.

أما قولهم: (أن نحزن بشهادة سيد الخلق ﷺ في قوله: (حسين مني وأنا من حسين) فهذا من باب التمويه والتضليل فهل موت الحسين ﷺ أعظم من موت الرسول ﷺ، ولم يأمرنا الشارع الحكيم بإحياء يوم وفاته بالحزن والضرب والصعق وغير ذلك من الترهات التي يقوم بها الشيعة إحياءً ليوم وفاة الحسين ﷺ، مع كونهم هم الذين قاموا بخذلانه والتسبب بموته ﷺ .

وأما زعمهم إننا نأخذ من كعب الأحبار وأطنابه فهذا كذب وافتراء آخر فالمؤمنون لم يأخذوا بقول كعب ولا غيره، وإنما يأخذون السنة من الصادق المصدوق ﷺ، وبذلك يتضح كذب هذه المقولة من مبتدأها إلى متهاها وبالله التوفيق.

أ.د. عفاف بنت حسن محمد مختار الهاشمي

أستاذ العقيدة والمذاهب المعاصرة

جامعة جدة

١ – ١ – ١٤٤٤هـ

٣٠ – ٧ – ٢٠٢٢م